الوالدان

للكاتب الألماني رودلف كروزر

بعد أن أحيل القاضي هجونوير إلى المعاش اشترى قطعة أرض في الريف واعتزل حياة المدينة التي كانت مسرحا لآلامه وهمومه حيث توفيت زوجته قبل الحرب، كما أن ولده الوحيد انتظم في سلك الجندية وذهب إلى الميدان دون رجعة ولم يعد يؤنسه في وحدته الآن إلا خادمه العجوز.

مضت عشرون عاما وبدأ الماضي يتمحى بصوره المحزنة من مخيلة الرجل وينفض عنه غبار أعوام مضت قاسى فيها الأهوال ولكن الماضي جاء يقرع بابه بقوة يلح في الدخول.

كان ذلك في يوم من أيام أغسطس وكان القاضي واقفا في حديقة داره بين الأوراد الجميلة التي يتعهدها بنفسه حين جاءته الخادم ومعها بطاقة باسم رجل انجليزي يدعى جيمس مارلو من جلوستر. أما حرفته فلم يكن لها ذكر في البطاقة.

لم يعرف الرجل من يكون ضيفه وذهب إليه في حجرة الاستقبال فتقدم الانكليزي في أدب جم واحترام زائد وهو يقول في همس بأنه سعيد لتشرفه بمعرفة والد الكابتن فرانز هجنوير؛ فدهش القاضي. من أين عرف ذلك الرجل اسم ولده؟ ولما أخبره هجنوير بأن ابنه قد توفي في الحرب كست وجه الرجل الغريب السبعيني الطويل القامة موجة من الحزن والأسف لأنه شعر بالألم الذي ارتسم على وجه القاضي لتجديده تلك الذكرى الحزينة اعتذر من ذلك ثم أوضح شخصيته. فهو والد ضابط انجليزي يدعى هاري مارلو، وإن كان فرانز قد مات في الحرب بطلا شهيداً، إلا أن هاري مات بعد أن حوكم عسكريا لما أبداه من جبن أمام العدو وبعدما جردوه من رتبته الشريفة.

قام الرجل العجوز المتهدم وقطع الغرفة جيئة وذهابا وهو يشرح كيف استنكر ذلك من ولده والا لغدا شرف عائلة مارلو في التراب. حاول أن يعرف السبب الذي حوكم ابنه من أجله، لأنه عاد منفردا إلى فرقته بينما كان بقية جنوده يقاتلون في الميدان؟ لقد ظل أمر عودته سرا مكتوما بينه وبين نفسه ولم يكتشفه أحد.

هذه هي المشكلة. إنه يعرف ولده جيدا فهو شجاع إلى أقصى حدود الشجاعة، ولا يظنه على ذلك الجبن والخور. جعل يبحث عشرين عاما ليقتنع بأن ولده لم يفعل ذلك إلا لسبب جوهري عظيم، ولكنه كان يقابل دائما من الناس بالشفقة والرثاء لتقدم سنه وبأجابات كلها سلبية؛ فلم يرتح إلى جواب منها يشفي به غليل نفسه. لقد ضحى ماله وكهولته ليعرف السر ولكن دون جدوى إلى أن طرق الباب عليه أخيراً فرانز هجنوير. فقد سمع اسمه من جندي انجليزي قال بأن أسيرا ألمانيا مات قبل نهاية الحرب كان دائم التحدث عن الكابتن هجنوير الذي كان يقاتل في سالي في اليوم الثامن عشر من أكتوبر عام ١٩١٦ في معركة السوم.

حينئذ تذكر القاضي بأن خطابا غريبا كان قد وصله من ابنه في ذلك الحين فقام وأتى به كان مؤرخا في التاسع عشر من أكتوبر عام ١٩١٦ في بلدة سالي وقرأ مارلو الخطاب وكان فيه:

والدي العزيز

أكتب إليك الآن لا لأذكر لك شيئا عن شجاعتي في الميدان أو كيف استولينا على حصن من حصون العدو بل لأطلعك اليوم على حادث غريب. فلقد هاجمنا الأعداء وتمكنا من التقدم في صفوفهم. وكان ضابطهم شابا شجاعا من فرقة جلوستر جعل يقاتل حتى نفد منه الرصاص، ولما وجدته أعزل هجمت عليه وكدت أقتله إلا أن أحد جنوده دفعني على الأرض؛ وحينئذ تيقنت بأني سأموت وأغمضت عيني وأنا أسلم أمري إلى الله. إلا أني حين فتحتهما وجدت ذلك الضابط وقد ألقى بسلاحه ولم يرغب في قتلي وأنا فاقد الحيلة. ولما حاول أحد جنودي قتله من خلفه أنقذته وتمكنت أن أدعه يفر من الأسر. وبذلك خنت زملائي وجنودي ووطني كما فعل هو من قبل ... »

وضع الرجل الإنجليزى الخطاب بيد مرتعشة وحل الصمت بينهما طويلا ثم قفزت تلك الصورة أمام القاضى . ولده يكاد يشرف على الموت لولا شفقة ذلك الضابط الإنجليزى ورحمته له . كما تراءت له خيانة ولده ومساعدته لعدوه على الفرار . واختلط كل شيء فى رأسه وسط ذلك الظلام الذى بدأ يغمر الحجرة التى لا ينيرها سوى تلك الذؤابات الباقية من الشموع .

كان للجو الغريب الذى عاش فيه الرجلان فى تلك اللحظة كل الرهبة . فها هو الخطاب ماثل على المكتب وقد اصفرت أوراقه ، وها هى الذكريات تتعاقب على مخيلتهما ؛ وهاهما ولداهما قد عادا إلى الحياة وارتسمت صورهما واضحة أمام عينيهما . صورة البطولة والشجاعة والاقدام والشفقة والرحمة والخيانة العظمى .

شعر الرجلان بأنهما يجهلان كل شيء عن الحرب مع أنهما عاشا فى لهبها أربعة أعوام . ولكن هل هذا الذى حدث يعد عملا شريفا أو تشم منه رائحة الجبن والخيانة حقا ؟ هل للحياة تلك المنزلة الغالية فى الميدان حتى أن ضابطا يلقى بسلاحه حين يجد عدوه فاقد الحيلة أمامه .. إنهما لا يعرفان شيئا عن قانون الإنسانية والشباب والحياة . أما القاضى فكل مايذكره الآن هى تلك الكلمات الأخيرة من خطاب ولده .

« لقد ارتكبنا خطأ واحدا بأن ألقينا سلاحينا » .

انتشر الظلام فى الحجرة ولم يقو أحدهما على إنارتها لأن تلك الذكريات البعيدة وذلك الصوت الذى يتكلم من وراء السنين يجب أن يهيأ له الجو الصامت المظلم حتى تسبح روحاهما فى ذلك العالم حيث فلذتا كبديهما .

امتدت خيوط القمر المكتمل قرصه وأنارت أجزاء من الحجرة كما نبح الكلاب وتمايلت أغصان الشجر إلا أنهما لم يشعرا بكل ذلك ، بل كان عالمهما الذى يعيشان فيه بعيداً حيث الظلام والنار والدخان والدماء .

وأخيرا قال مارلو . إذن لم تكن تلك هى الحياة التى وهبها الكابتن هجنوير إلى ولدى بل كانت الطريق إلى الموت بمحض إرادته ، كما أن حياة هجنوير لم تكن إلا قرضا سرعان ما استعادته قوة غاشمة .

فقال القاضى : نعم هو ذلك الأمر .

ولم يشعر إلا وهو يضع يده فى يد الرجل الذى أمامه وكأنهما صديقان قديمان عزيزان . وعاد يقول لعل هناك شيئا من العدل ينسى ذلك الحادث . العدل الذى لا نعرفه ونحن فى دنيانا ، والذى يشعرون به هم فى ميدان القتال .

فقال مارلو : وتلك المحاكمة . أكانت عادلة ؟

فقال القاضى : أما عن المحاكمة فإن ولدك هو الذى حكم على نفسه ولا يدرى أحد إن كانت عادلة أو ظالمة .

وكأن الرجل قد اقتنع بذلك الرأى . فنهض واقفا وهو يطيل النظر فى وجه القاضى الهادىء .

كان السكون يعم الكون فى الخارج ، والنسيم يهب رقيقا ، ورداء الليل الأسود يغطى الطبيعة فيزيد أسرارها رهبة ؛ ولمح القاضى بعض التغير يطرأ على وجه ضيفه . وكأنه شعور الراحة بعد طول عناء .

وأخيرا قال القاضى : أنا لم أفهم لم لم يصرح مارلو بالأمر حين حوكم فهو محق بعض الحق فيما فعل .

لم يشعر الرجل الإنجليزى إلا وهو يتناول الخطاب ثانية ، وأدرك القاضى للتو الكلمات التى يقرؤها الرجل فاذا به يهمس بها تلك الكلمات العذبة الصادرة من قلب يشعر بما للحرب من أهوال وفظائع ، وكأن نيرانها قد اشتعلت فى أفق يومهما ذاك . كلمات ولده التى تقول « لم أر فى حياتى من هو أكبر إقداما وأكثر شجاعة من ذلك العدو الشاب » .

كفى مارلو تلك الكلمات وليحاكموه ما شاءوا . كفاه فخرا شهادة مثل هذه من عدوله لدود . عاد السكون بينهما إلا أن القاضى قال :

إنه لمن دواعى سرورى حقا أن أضع بين يديك ما يزيل عنك وحشة وشكا مريبا عشت تحت رحمتهما عشرين عاما كاملة ، ولا أظن أحداً يمكنه أن يتهم ولدك بالجبن والخوف بعد الآن . فلمعت عينا الرجل برغبة حادة شعر بها القاضى فاذا به يقول :

لتأخذ ذلك الخطاب ولتفعل به ما تشاء .

فما كان من الرجل الإنجليزى إلا أن نهض واقفا وأمسك بالخطاب ثم أدناه من لهب الشمعة فاشتعل وسرعان ما تساقط الرماد . حدث ذلك وهما باقيان على صمتهما ونور القمر يرافقهما .

ولم يشعرا إلا ويد كل منهما فى يد الآخر . فقاما فى صمت إلى الحجرة المجاورة وقد اشتبكت ذراعاهما . وأدارا النظر فيها فقابلتهما صورة الكابتن هجنوير بقامته المديدة وابتسامته العذبة .

عيسى فتحى خليل

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

نشر الاعلانات في الرسائل البرقية

إن الاعلان فى الرسائل البرقية المتداولة بين سكان القطر المصرى بأجمه هو دعاية هامة واسعة النطاق قد هيأتها المصلحة للمعلن الذى يرمى إلى رواج أعماله وللتاجر الذى يبغى التوسع فى تجارته .

وقد راعت المصلحة أن تكون أجور النشر فى هذه الرسائل زهيدة وفى متناول الجمهور فجعلت كل مائة ألف إعلان بثلاثين جنيهاً مصرياً وكل ربع مليون بسبعين جنيهاً وكل نصف مليون بمائة وعشرين جنيهاً فضلا عن تخفيض معين فى المائة إذا بلغ المراد نشره مليونا أو أكثر من الاعلانات .

انتهزوا هذه الفرصة ولا يفوتكم أن تحجزوا من الآن القدر اللازم لكم من هذه الرسائل .

ولزيادة الاستعلام خابروا : —

قسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة